الثورة السلوكية في العلوم السياسية

دكتور أحمد بدر *

تقديم :

لقد تعرضت العلوم السياسية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى وقتنا الحاضر ، لثورتين أساسيتين أولهما الثورة السلوكية التي اهتمت باستخدام المنهج العلمي في البحث ودراسة السلوك الانساني بالطريقة العلمية وثانيهما تلك الثورة التي جاءت في أواخر الستينيات ، مع زيادة أزمات العصر في المجالات السياسية والاجتماعية ، ومع الحاجة لجعل علم السياسة أكثر ارتباطا بهذه الازمات وأكثر التصاقا بالسلوك السياسي الفعلي Relevance and Action وهي ما يطلق عليها بالثورة ما بعد السلوكية . (١) Post-Behavioral Revolution

وسنركز في دراستنا هذه ، على الثورة أو الاتجاه السلوكي في العلوم السياسية ، تاركين دراسة الثورة ما بعد السلوكية لبحث قادم باذن الله .

ويمكن أن نتناول دراسة تاثير الثورة السلوكية في العلوم السياسية في النقاط التالية :

أولا : طبيعة المعارف السياسية ونطاقها ومصطلحاتها .

ثانيا : المنهجية السياسية وتاثرها الحديث بالدراسات الاجتماعية والنفسية .

ثالثا : الاتجاه السلوكي ومقوماته وارتباطه بالمنهج العلمي في البحث .

رابعا : تقييم ومصير الحركة السلوكية .

خامسا : بعض أمثلة من الدراسات والاعمال التي تبنت الاتجاه السلوكي .

أولا ــ طبيعة المعارف السياسية ونطاقها ومصطلحاتها :

هل دراسة السياسة تدخل ضمن « العلم » أم ضمن « الفلسفة » . ؟؟ .. أم أن طبيعة هذه الدراسة تشمل كلا من العلم والفلسفة ؟ ان الاجابة على هذا التساؤل تتصل بمشكلة التعريف ذاتها للعلم أولا ، كما أن طبيعة المعارف السياسية نفسها تشير الى أنها تحتوي على « الافكار » فضلا عن « الحقائق » .

الاجابة اذن تعتمد على التعريف للعلم بصفة أساسية .... فاذا عرفناه بانه « الجسد المترابط للمعرفة المنظمة المنهجية المبنية على الحقائق والتي يتم الوصول اليها بالمناهج الامبيريقية ، ويتم التعبير عنها بالقياسات على قدر المستطاع » ، فان علم السياسة هو علم حقا شانه في ذلك شان بقية العلوم الاجتماعية الاخرى

أما اذا حددنا تعريفنا للعلم بامكانية تحكم الباحث في المواد التي تتم دراستها وامكانية اجراء التجارب عليها ، بحيث يستطيع الاخرون تكرار هذه التجارب تحت نفس الظروف بالاضافة الى امكانية التنبؤ بنتائجها فان مصطلح العلم في هذه الحالة سوف لا يكون التعبير الدقيق .

وعلى كل حال فهناك فريق من العلماء السياسيين ــ خصوصا أولئك الذين يعتقدون بامكانية الوصول الى علم للسياسة لا ارتباط له بالقيم Value-Free Science يصرون على ان الحدود بين الفلسفة

---

* د. أحمد بدر ، أستاذ بجامعة القاهرة ، أستاذ منتدب لتدريس مادتي طرق البحث العلمي والرأي العام والاعلام بكلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية ــ جامعة الكويت سابقا .

السياسية وعلم السياسة هي حدود واضحة الى حد كبير ذلك لان الفلسفة السياسية تهتم بصفة أساسية بالافكار السياسية عبر العصور وتتبع في دراستها المنهج التأملي الاستنباطي المنطقي بينما يعتمد علم السياسة في دراسته على الحقائق الموضوعية والدليل الذي يركز على التعبير الكمي لا الكيفي كما أن علم السياسة يهتم بالتعرف على الانتظامات Regularities في السلوك السياسي واستخلاص النتائج « السليمة » من المعلومات والبيانات المجمعة ...

ولكن هذه الجهود العلمية السلوكية قد لقيت معارضة جدية في أواخر الستينيات ، فقد رفض العديد من العلماء والفلاسفة السياسيين هذا الاتجاه ، اذ أحسوا زيادة خضوع الاختيارية والقيم الانسانية للحتميات في كل وجه من وجوه الحياة . وعلى الرغم من أن علم السياسة قد طور أساليب دقيقة للقياس الكمي للمعلومات السياسية ، فليس هناك اتفاق مسلم به على نطاق علم السياسة . وبالتالي فان النتائج التي تبنى على فروض أساسية لبؤرة علم السياسة تختلف اختلافا كبيرا . أي أن هذه النتائج ستختلف ، اذا افترضنا أن بؤرة علم السياسة هي القوة ، الحكومة ، الدولة ، النظام ، العملية ، اتخاذ القرارات ، وضع السياسة .... أو غير ذلك . وبالتالي فان عدم تحديد هوية علم السياسة قد ساعد على اكتشاف طرق عديدة للبحث ، ولكن الوصول الى نظرية عامة موحدة تشرح لنا السلوك السياسي ، ويتفق عليها معظم الباحثون ما زال أمرا مفتوحا للدراسة والبحث .

ان مشكلة البحوث والمعارف السياسية لا تعود الى طبيعة تلك المعارف من حيث كونها تدخل ضمن العلم أو الفلسفة فحسب ، ولا تعود هذه المشكلة الى عدم تحديد هوية علم السياسة ونطاقه فحسب ، ولكن هذه المشكلة تتصل أيضا بعدم دقة المفاهيم الاساسية في علم السياسة .

واذا كان صحيحا أن قوة العلم من قوة مفاهيمه ، فان كثيرا من المفاهيم السياسية ما زالت غامضة .. فالديكتاتورية ، والطبقية ، والسيادة والمسئولية ، وغيرها من المصطلحات تحمل معاني عريضة مما قد يؤدي بكثير من دارسي السياسة الى استخدامها لشرح الظاهرة الاجتماعية نفسها أو في الواقع لشرح أشياء مختلفة عن بعضها اختلافا كبيرا .

ومن ناحية اخرى فهنالك مصطلحات مثل الحرية والمساواة والحقوق الديموقراطية وغيرها . وهذه المصطلحات تضيف صعوبة جديدة لانها تحمل معاني بعضها واقعي وحقيقي وبعضها الاخر تقييمي Evaluative وان كان بعض الباحثين يريدون اخضاعها للبحث الامبيريقي .

أن عدم دقة المفاهيم يشرح لنا الى حد كبير ــ أسباب الاختلافات الواضحة في التعميمات السياسية . فهذه التعميمات نفسها تصبح عريضة جدا ومصاغة بطريقة غامضة . فقد يذهب بعض علماء السياسة مثلا الى أن التخطيط والديكتاتورية متلازمان ويمكن أن يدلل بعض علماء السياسة الاخرين على عكس ذلك . وقد يذهب البعض الى أن الفصل بين السلطات من شأنه أن يؤدي الى وجود الضوابط على استخدام السلطة السياسية ، بينما يستطيع آخرون أن يثبتوا أن هذا الوضع من شأنه أن يؤدي الى الممارسة غير المسئولة للسلطة ... وهكذا .

ثانيا ــ المنهجية السياسية وتأثرها الحديث بالدراسات الاجتماعية والنفسية :

هناك ارتباط وثيق بين الدراسات التاريخية والسياسية ... ذلك لان التاريخ يزود علم السياسة بالمواد والاشخاص والاحداث التي يخضعها للتحليل ، وعلم السياسة بصورته التحليلية هذه يتميز عن مجرد الوصف التاريخي للظواهر والاحداث . هذا ويعتمد علم السياسة من المنهج الوثائقي أو التاريخي ، الا انه في تطوره الحديث يعتمد على كل من الاستنباط والاستقراء ، بل هو يميل الى المناهج الاستقرائية كالمسرح ودراسة الحالة بل والتجارب ، وهناك محاولات أيضا للتعبير عن دراساته بالطرق الاحصائية والرياضية المتطورة .

كما كان لعلم السياسة ارتباط بالقانون ، ذلك لان هناك ومنذ القرن السادس عشر ارتباط وثيق بين الدولة والقانون على يد الفيلسوف الفرنسي جين بودين Jean Boin وذلك في نظريته عن السيادة والتي افترضت الوجود الضروري في كل دولة لسلطة تصنع القوانين ... ولقد سادت النظريات القانونية عن الدولة في فرنسا بسبب تدريس علم السياسة في كليات القانون تحت اسم « القانون الدستوري » .

ولكن بؤرة الدراسات السياسية ، قد انتقلت ــ خصوصا منذ القرن التاسع عشر ــ من مجرد الوصف القانوني للمؤسسات وتطورها التاريخي ، الى الدراسة الموضوعية للحقائق الاجتماعية .. وتاثرت الدراسات السياسية بعلم الاجتماع وعلم النفس أكثر من غيرهما من العلوم (؟)

ولعل انتقال بؤرة الدراسة في علم السياسة ، من مجرد الدراسات الاستاتيكية الى دراسة الحقائق الاجتماعية ، يرجع الى كتابات الكثيرين ومنهم اثر بنتلي Bentley-Arthur ، الذي ألف كتابه عن عمليات الحكومة عام (١٩٠٨) Government-Process ، واصر في كتابه التي كان لها أعظم التأثير في الثلاثينيات والخمسينيات من هذا القرن ، أصر على ان الدراسة الصحيحة للسياسة ، هي في دراسة الحقائق التي يمكن ملاحظتها ، وفي تقليد العلوم الطبيعية ..

وعلى الرغم من جهود بنتلي في تطوير الدراسة السياسية بطريقة موضوعية (تعتمد على التحليل البعيد عن القيم) ، الا ان حركات أخرى في نفس الاتجاه ، كانت أكثر نجاحا ، وأهم تلك الحركات جاءت من مدرسة شيكاغو في أمريكا ، في منتصف العشرينيات وما بعدها .. وبقيادة شارل ميريام Chanls Menian الذي نشر عام (١٩٢٥) كتابه بعنوان « الجوانب الجديدة في السياسة » New Asgects of Politics حيث اتجه في كتابه هذا الى الدعوة الى اعادة بناء منهج وطريقة البحث في التحليل السياسي .. كما دعى الى استخدام الاحصاء استخداما أكبر ،وذلك كمساعد للملاحظات الامبيريقية والقياس .. كما كانت فكرة (الاتجاه) Attitude مسيطرة على منهجه .. وبالتالي فقد اعتمد على بعد نظر علم النفس في فهم السياسة (٣)

واذا كانت مدرسة شيكاغو سالفة الذكر ، قد أعلنت باصرار اهتمامها بتطوير علم للسياسة يكون متحررا من القيم Value-Free فان أعمال هذه المدرسة ، كانت تتميز بالاهتمام « بقيم » النظام الديمقراطي الامريكي ، ومحاولاتها الحثيثة لتحسينه عن طريق المؤلفات والدراسات التي وضعها كتاب تلك المدرسة .

ثالثا ــ الاتجاه السلوكي ومقوماته وارتباطه بالمنهج العلمي في البحث :

يمكن أن نعتبر الاتجاه السلوكي تاريخيا كحركة تمرد أو اعتراض داخل علم السياسة فقد ارتبطت دراسات السلوك السياسي والاتجاه السلوكي بالعديد من علماء السياسة الذين كانوا غير راضين عما حققه علم السياسة التقليدي عن طريق الاتجاهات التاريخية والفلسفية والوصفية للمؤسسات ، ويذهب العلماء السلوكيون الى أنه من الممكن تطوير وتبني مناهج واتجاهات جديدة ، تزود علم السياسة بفروض امبيريقية ونظريات نسقية يمكن اختبارها بطريقة مباشرة تكون أكثر دقة مع امكانية الوصول الى مرحلة متقدمة من الملاحظات المحكومة للاحداث السياسية .

وأقل ما يمكن أن يجمع السلوكيون هو شكهم في الانجازات الفكرية الجارية لعلم السياسة وبجمعهم أيضا تعاطفهم مع أساليب البحث والتحليل « العلمية » . (٤)

ولكن هل هناك اتفاق على تعريف الاتجاه السلوكي ؟ وما هي العوامل التي ساعدت على نموه وهل نستطيع أن نميز بين السلوكية في علم النفس وعلم السياسة ؟ وما هو الفرق بين الاتجاه السلوكي والسلوك السياسي ؟ وأخيرا فما هي مقومات الاتجاه السلوكي وقواعده الفكرية خصوصا فيما يتعلق بالوحدات الاساسية في التحليل وفي نظرته للقيمة ؟ يمكن أن نتناول هذه النقاط بشيء من التفصيل فيما يلي :

١ ــ عن تعريف الاتجاه السلوكي :

هو اتجاه يهدف الى تحليل وشرح الظواهر السياسية وقد يطلق على هذا الاتجاه أحيانا السلوكية Behavicralism وعلى الرغم من أن هذا المصطلح قد استخدم بحرية في كتابات علم السياسة الا أن هناك غموضا بل وتناقضا في بعض الاحيان عند استخدامه فقد يستخدمه البعض على انه مجال للدراسة أو على أنه منهج للبحث أو على أنه اتجاه Approach كما أن مصطلح السلوكية قد انسحب على دراسات ذات اتجاهات متباينة كدراسات تالكوت بارسونز Talcott Parsons ودافيد ترومان David Truman وكارل درتش Karl Deutsch وغيرهم .

ويمكن أن نشير في هذا المجال الى أن هانز ايلو Heinz Eulau في كتابه عن الاستمالة السلوكية في السياسة (١٩٦٣) قد قال ان الاستمالة السلوكية تهتم بالافعال السياسية للانسان وتهتم بالمعاني والمفاهيم

التي يضعها الانسان لوصف هذه السلوك .

أما روبرت داهل Robert Dahi فقد قال ان السلوكية هي « مزاج » Mood أو حتى نظرة علمية Scientific Outlock فالمصطلح الوصفي « السلوكي » اذن يمكن أن يعبر مجرد اصطلاح له خواصه المميزة وله وزنه وقيمته لفترة معينة فقط وذلك نظرا لان هذا المصطلح يشير بالدرجة الاولى الى مرحلة السنوات الخمس والعشرين التي تلت الحرب العالمية الثانية حيث كان هناك اهتمام واضح بالدراسات الامبيريقية في السياسة .. وكانت هذه الحركة السلوكية حركة قوية احتلت مكانها الى جوار الاتجاهات التقليدية وان كان بعض المتحمسين للاتجاه السلوكي قد ذهبوا بعيدا الى القول بان عملهم هذا قد جعل الاتجاهات التقليدية اتجاهات عفى عليها الزمن .

وخلاصة هذا كله أن الاتجاه السلوكي يعبر عن رفض الصياغات والمناهج التي تتبعها المدارس الفلسفية والقانونية والتي سيطرت على الدراسات السياسية قبل الحرب العالمية الثانية . كما ان هذا الاتجاه يرفض اي تعريف لعلم السياسة يحصره في مجرد دراسة « الدولة » .

وليس معنى ذلك أن الاتجاه السلوكي يرفض امكانية وضع النظريات الشاملة التي تتصل بشرح الظواهر السياسية ولكن المشتغلين بالاتجاه السلوكي يرون ان هذه النظريات يجب أن تؤسس على الشرح الموثوق به ، والذي لا يتصل بالدرجة العالية للعمومية ، ومما يزيد مشكلة التعريف تعقيدا أن ممثلي المدرسة السلوكية البارزين مثل روبرت داهل ودافيد ايستون وهاينز ايلو وغيرهم يفضلون عادة — عندما يسألون عن طبيعة الاتجاه السلوكي — أن يوضحوا الجوانب التي لا يشملها هذا الاتجاه . مثل التأمل الفلسفي والدراسات التاريخية والقانونية والاعتبارات الاخلاقية ولكنهم لا يحددون بصفة مباشرة نطاق الاتجاه السلوكي .

وعلى كل حال فالاتجاه السلوكي ذو طبيعة رافضة للاتجاه الكلاسيكي القديم وان كانت طبيعة تعريف الاتجاه السلوكي غير محددة وغير دقيقة في صياغاتها مما أدى ببعض الباحثين الى القول بان هذه الصياغات الرافضة والنقدية غير الدقيقة يمكن استخدامها كذلك للتعبير عما قام به العديد من الفلاسفة السياسيين المحدثين من ميكيافيلي الى كارل ماركس ، ذلك لان هؤلاء قد ارادوا ايضا أن يكونوا اكثر (واقعية) Realistic ممن سبقوهم .

٢ — عن الاسباب التي أدت الى النمو السريع للاتجاه السلوكي :
يمكن اجمالها فيما يلي :

١ — الجهود العلمية لمدرسة شيكاغو السياسية .

٢ — هجرة عدد كبير من العلماء الالمان والاوروبيين للولايات المتحدة في الثلاثينيات وقد كانت لهؤلاء العلماء خلفيات في علم الاجتماع الاوروبي وهم الذين ركزوا على ارتباط الاجتماع بالسياسة .

٣ — انتقال وحركة كثير من علماء السياسة الى المناصب الادارية والسياسية في الحكومة خلال الحرب العالمية الثانية .

٤ — تأثير مؤسسة فورد وتمويلها للبحوث في مجال السلوك السياسي .

٥ — زيادة تطور منهج المسح في دراسات سياسية عديدة مثل سلوك الناخبين .

٦ — جهود مجلس بحوث العلوم الاجتماعية الامريكي والذي كانت قيادته تميل للسلوكية .

٣ — هل مصطلح الاتجاه السلوكي مرادف للسلوك السياسي ؟

الواقع ان الاتجاه السلوكي يدلنا على مجموعة من الاجراءات وطرق التحليل ، والاتجاه السلوكي بذلك غير محدد فقط بموضوعات السلوك السياسي . ولكن ما هي هذه الموضوعات ؟ يمكن ان نقول بان دراسات السلوك السياسي تهتم بتلك الجوانب من السلوك الانساني التي تتم داخل التركيب السياسي (أي داخل الدولة أو غيرها من المجتمعات السياسية) وذلك بهدف أو بدافع سياسي . وبؤرة الدراسة السياسية السلوكية هي الانسان الفرد — كناخب أو قائد أو كثوري أو كعضو في حزب أو قائد رأي .. الخ وليست بؤرة الدراسة هنا تتركز في الجماعة أو النظام السياسي .. ولكن من المتفق عليه والضروري كذلك

أخذ هذه المؤسسات (أي الجماعة أو النظام السياسي) في الاعتبار كدراسة تأثيرها على السلوك الفردي .. ودراسة أساليبها في اتاحة الفرصة له في المشاركة السياسية والفعل السياسي . كما تهتم الدراسة أيضا بدراسة آثار الثقافة السياسية على اتجاهات الفرد وعاداته السياسية .

ولقد اهتم علماء السياسة في دراستهم للسلوك السياسي بالتأثيرات النفسية والاجتماعية على السلوك ، وبالتالي فتحتل المجالات التاليه أهمية وأولوية في دراستهم : التنشئة الاجتماعية السياسية ، الايديولوجيات السياسية ، اتجاهات وآراء الافراد ، العلاقه بين الافراد — كممثلين سياسيين — والجماعات التي ينتمون اليها ، النشاط السياسي كالتصويت وأشكال المشاركة السياسية الاخرى ، القيادة ، اتخاذ القرارات ، العنف السياسي ... الخ ، وكذلك طرق الاتصال السياسي التي يستخدمها الافراد وعلاقة السلوك الفردي بالنظام السياسي وبالوسط المحيط به ... وكثير من هذه الدراسات تتصل بمجالات علمية يعتمد بعضها على بعض أو يحتاج لقطاع مستعرض من علوم جديدة .
Inter disciplinary and Ircss disciplinary Research

٤ — العلاقة بين النظرية السلوكية في علم النفس Behaviorism والاتجاه السلوكي السياسي Behavioral Approach

الواقع أن العلماء السياسيين السلوكيين يحاولون التمييز بين الاتجاهين على اعتبار أن مدرسة النظرية السلوكية في علم النفس قد قام بتأسيسها جيمس واطسن ورفاقه الذين حاولوا حل النزاع الخاص بمحتوى وتركيب وعمليات الوعي الانساني Human Consciousness عن طريق تجنب جميع المسائل المتعلقه بمحتوى الصندوق الاسود الصغير (الذى يشمل الروح والوعى الباطن .. ويشمل أيضا الغرائز والجهاز العصبى) وبدلا من ذلك فان علم النفس قد قبل بأنه يعتمد ببساطة على العلاقة بين المثيرات والدوافع عندما تؤثر على الصندوق الاسود ، والصندوق الاسود كما يتفاعل مع تلك المثيرات والدوافع . (٥)

أما اليوم فان أحد العلماء السياسيين البارزين وهو هاينز ايلو Heinz Eulan يؤكد — على خلاف علم النفس المعتمد على الصندوق الاسود — أن النظرية السلوكية في علم السياسة Behavioralism تهتم بالعمليات المعرفية وبالشعور بتقييم الوعي الانساني . وان كان ذلك لا يوضح الصفات الانسانية للاتجاهات السلوكية كذلك ، ولعل ما يقوله هاينز ايلو يكون مقنعا اذا افترضنا أن معايير ومقاييس علم النفس وعلم السياسة متشابهة . وعلى كل حال فان العلاقة بين النظرية السلوكية في علم النفس ، والنظرية السلوكية في علم السياسة ليست بعيدة عن الاخرى كل البعد .

٥ — بعض مقومات الاتجاه السلوكي وقواعده الفكرية :

يمكن أن نتبين ذلك في طبيعة الافتراضات ، والاهداف التالية والتي تميزه عن الاتجاهات التقليدية القديمة :

أ — دراسة السلوك السياسي للافراد :

ما يميز المدرسة السلوكية عن غيرها من الاتجاهات التقليدية هو بعدها عن الدراسات المؤسسية Institutions ومحاولة التعرف على السلوك السياسي للافراد .

ويكاد يتفق رواد السلوكية (داهل وايستون وايلو) على ذلك ويعتبر ايلو أن المؤسسات « نظم للسلوك السياسي» فهو يقول في كتابه عن الاستمالة السلوكية Behavicoral persuasion تعتبر المؤسسات السلوكية نظما سلوكية أو نظم اتخاذ القرار والفعل وكما أن هذه المؤسسات لا تعيش منعزلة عن الاشخاص الذين يكونون هذه المؤسسات ذاتها ، فان السلوك السياسي لا يعيش منعزلا عن شبكة العلاقات الشخصية المتداخلة وهي التي يمكن أن نسميها المؤسسات السياسية . (٧)

ومع ذلك فلا بد لنا أن نوضح رؤية علماء السياسة السلوكيين الى المؤسسات ذاتها فهم يهتمون ببحوثهم في هذا المجال بالسلوك التشريعي وبالسلوك القضائي وبالسلوك الانتخابي والسلوك الاداري كانتظامات موضوعية للسلوك السياسي داخل اطار مؤسسة معينة اي أن السلوكية تركز على اعتبار الفرد كوحدة التحليل الامبريقية ، ولكن ليس هناك اتفاق على الوحدة النظرية الاساسية
Basic Theoretical Unit

ولقد برز خلال السنوات الماضية اتجاهان على الاقل هما :

الاتجاه الاول يشير الى الطبيعة الاجتماعية الاساسية للانسان ، وبالتالي فهذا الاتجاه يرى مجموعة العلاقات والتفاعلات بين الافراد — والتي يعبر عنها باصطلاح او مفهوم الدور Role كنقطة الانطلاق النظرية ..

أما الاتجاه الثاني — المتأثر بالاقتصاد الكلاسيكي — فهو لا يرى الفرد كوحدة للتحليل الامبيريقي فحسب ، لكنه يراه أيضا كوحدة للتحليل النظري كذلك على اعتبار أنه يمثل النموذج العقلاني ، صاحب المصلحة والمنفعة .

والاتجاه الاول — الاجتماعي — يرى السياسة كمجموعة من العلاقات المنظمة بين الناس ، بينما يرى الاتجاه الثاني — الاقتصادي — أن السياسة هي مجموعة قواعد أو استراتيجيات يستطيع بها الافراد أن ينظموا علاقاتهم ... ومن الواضح أن الاتجاهين ليسا منفصلين بعضهما عن بعض .

ب — الوصول الى نظريات امبيريقية نسقية : Empirical Systematic Theories

والان ماذا عن النظريات التي ينبغي على علم السياسة أن يتضمنها من أجل تقدمه ؟ وهل هناك امكانية لالتقاء مختلف الافكار والنظريات لتشمل مختلف وجهات النظر ؟ يقول هاينز ايلو Heinz Eulau أن البحث عن نظام شامل في العلم السلوكي السياسي هو محاولة للبحث عن شبح Phantom لا وجود له . كما أنه يضيف الى ذلك شكه في امكانية تطور علم للسياسة عن طريق الحوار — القائم على أسس نظرية بحتة — لبعض « الافكار المنظمة المحورية » كالنظام System ، والقوة Power ، والاتصال Communication وصناعة القرارات Decision-making وأنه من العسير دمج هذه الاتجاهات الجزئية في كيان بحثي واحد ملموس ذلك لان العلم يتقدم بالاكتشافات البحثية المحسوسة وليس بالاطر الفكرية والنماذج والنظريات وحدها . وهذه الاشياء اذا اضيفت الى المناهج والادوات تعتبر أساليب للبحث العلمي فحسب ، وتظهر صحتها العلمية في البحوث الواقعية الامبيريقية .

وليس معنى ذلك أن البحث الامبيريقي على مستوى السلوك الفردي يجب أن يتقدم دون توجيهات نظرية ذات علاقة بالاهتمامات الماكروكوزمية Macro Concerns للعلم السياسة بل على العكس من ذلك ، فالبحث السلوكي على مستوى الميكرو ، اذا لم يوضع في اطار معين نظري ، له علاقة بالعمليات والمواقف ذات النطاق الواسع ، فانه لن يسهم في حل المشاكل ذات الدلالة السياسية .
وهناك أعمال وبحوث تنطبق عليها تلك الاوصاف مثل البحوث التالية :

Arnold, Gabriel, A. et al. **The Civic Culture.**
Agger, Robert E. **The Kulers and The Ruled.**
Key, V. C. **Public Opinion and American Democracy.**
Dahl, R. **Who Governs?**
Lame, R. **Political Ideology.**
Campbell, Angus. **The American Voter.**
Wahlke, John. **The Legislative System.**
Eldersveld, Samuel. **Political Parties. A Behavioral Analysis.**

وعلى الرغم من النهضة في دراسة السياسة خلال العشرين سنة الماضية فان الانتاج الفكري للاعمال الامبيريقية الخلاقة ما زال ضئيلا وخصوصا في مجالات السياسة الدولية والمقارنة ...

وعلى ذلك فما سيجعل دراسة السياسة « علمية » ليس مجرد النظرية ولكن التمسك بقواعد المنهج العلمي في تجميع الدليل والتحرك بعد ذلك نحو الاستدلال والاستنتاج « السليم » Inference
ويرى هاينز ايلو أن النزاع بين التقليد والتحديث يظهر في التحليل الوظيفي النسقي وذلك على مستوى الظاهرة الماكروزمية ... ولما كان العمل الانساني هادف ومحدد الغرض عادة ، فان امكانية وجود علم سياسي سلوكي ايجابي بصفة كلية يعتبر أمرا مشكوكا فيه .. كما اننا اذا قمنا برد أو ربط الاهداف والاغراض الى النظم والكليات Systems or Wholes فان معنى ذلك — من وجهة النظر السلوكية — تجاهل الصفة التحليلية البحتة لهذه المفاهيم .

ولعل مفهوم النظام ككل . System as Whole يستحوذ على اهتمام الدارسين في مجالات السياسة الدولية والمقارنة ... ذلك لان الدولة القومية Nation-state ستظل وحدة التحليل الرئيسية .

وخلاصة هذا كله أنه ينبغي الوصول الى بحث نسقي ، حيث يتلاحم البحث والنظرية ضمن جهد المعارف الانسانية .. فالبحث الذي لا يتضمن النظرية ربما يثبت أنه بحث هامشي ، والنظرية التي لا تدعمها البيانات تصبح نظرية لا جدوى من ورائها ، أي أنه لا بد من وجود التفاعل والاتصال المتبادل بين البحوث الواقعية الامبيريقية والتطوير المنهجي .

جـ ـ المنهجية العلمية : (٨)

أي أن الاتجاه السلوكي يتضمن خطوات المنهج العلمي في البحث وهي خطوات تكاد تكون آلية من تحديد للمشكلة وتجميع للمعلومات ووضع للفروض ثم اختبارها بالدليل الذي يعتمد على الحقائق ثم استخلاص النتائج .. والمنهجية بذلك تتضمن الجوانب التالية :

الانتظامات Regularities

هناك انتظامات في السلوك السياسي يمكن اكتشافها والتعرف عليها . وهذه الانتظامات يمكن التعبير عنها في تعميمات أو نظريات لها قيمة تنبؤية أو توضيحية .

التحقق Verfication

ان صحة هذه التعميمات يجب أن تخضع للاختبار ـ من ناحية المبدأ ـ وذلك بالرجوع الى السلوك المتعلق . فضلا عن الاهتمام بالتحقيق العلمي المقارن .

الاساليب الفنية

وهذه تتضمن الوسائل والادوات التي يمكن الحصول بها على البيانات وتفسيرها ويحرص الاتجاه السلوكي على التدقيق في اختيار هذه الادوات وذلك للملاحظة الدقيقة للسلوك السياسي وتسجيله وتحليله .

التعبير الكمي Quantification

ان الدقة في تسجيل البيانات والنتائج تتطلب القياس والتعبير الكمي ، كلما كان ذلك ممكنا ومتعلقا بالظواهر السياسة موضع الدراسة .. والمدرسة السلوكية تعي ـ الى حد كبير ـ حدود التعبير الكمي في البحوث السياسية ولكنها تتطلب التميز الواضح بين البحوث الاساسية والتطبيقات العملية للسياسة اليومية ..

د ـ الادماج والتوحيد مع العلوم الاجتماعية الاخرى :

لما كانت العلوم الاجتماعية تتناول المواقف الانسانية بصفة متكاملة فان اهمال هذه العلوم سيضعف من صحة نتائج البحث السياسي وتعميماته .. ان الاعتراف بالعلاقات المترابطة للعلوم الاجتماعية من شأنه أن يرد علم السياسة الى المجرى الرئيسي للعلوم الاجتماعية ومن هنا كان تركيز الاتجاه السلوكي على المشاركة في البحوث التي تتناول وتحتاج الى العلوم المختلفة اللازمة لفهم السلوك الانساني .

هـ ـ القيم :

ان التقييم الاخلاقي والشرح الامبيريقي يتضمنان نوعين مختلفين من الافتراضات ويجب أن يكون هذان النوعين متميزين حتى تتضح أغراض التحليل في كل منهما .. ومع ذلك فليس هناك ما يمنع الباحث في مجال السلوك السياسي من أن يضع افتراضاته في أي نوع من هذه الانواع على حدة أو أن يجمعهما سويا ما دامت جهوده واضحة .

وعلى كل حال فهناك ميل لدى السلوكيين نحو خلق علم للسياسة يكون متحررا من القيمة Value free وفي الواقع فان « الحياد الاخلاقي » يعتبر بالنسبة لبعض العلماء الاجتماعيين أمرا مكروها مرغوبا فيه ، ويرد هؤلاء موقفهم الى الاستحالة المنطقية لاستخلاص القيم من الحقائق ، ولانس لانهم لا يعبأون بالقيم وبالاهداف .

أما لو سترواس ـ وهو من مؤيدي الفلسفة السياسية ـ فانه يرى أن « الحياد الاخلاقي » يعكس غيبة الفكر الناقد وعدم الفهم السليم ، ومع ذلك فمتفق كثير من الدارسين على أن اتهام العلماء الاجتماعيين

بالعدهية مرة وبالتوافق والمادية مرة أخرى لا يبدو مقنعا .

لقد فشل ستراوس فى الحقيقة فى اقناع الكثيرين خارج دائرة مريديه وأتباعه — بالنسبة لمواجهة ومعارضة السلوكية في علم السياسة .. لقد فشل في ذلك نظرا لان طريقته في الوصول الى الحقيقة لا تعترف بالحقائق الواقعية الامبيريقية .

ولقد عبر جبرائيل الموند Gabriel Almond عن الموقف السابق بقوله « اذا كانت هناك حقيقة تقول بأن العلم لا يستطيع أن يخلق قيمة » فان ذلك لا يستتبع بالضرورة عدم استطاعة العلماء البحث فى مجال القيم اذا ارادوا ذلك ، كما أنه لا يستتبع بالضرورة أن يبعد العلماء عن الاهتمام بالبدائل والاختيارات السياسية وانه لا يستتبع بالضرورة أيضا أن يصبح هؤلاء العلماء مشاركين فى لعبة (أو كفاح) السياسة (٩) وهناك — على ما يبدو — اتفاق بين السلوكين بالنسبة للقيمة على ما يأتي :

— على السؤال الذي يقول : هل يمكن أو هل يجب دراسة القيم بطرق العلم ، والاجابة على ذلك بدون تحفظ هي نعم . وتلك هي الاجابة أيضا على السؤال الذي يدور حول مقدرة العلم السلوكي على تقييم نتائج اختيارات بدائل السياسة .

— على السؤال الذي يقول هل يمكن أن يكون هناك علم اجتماعي متحرر من القيمة ؟ Value free والاجابة على ذلك هي لا .. وذلك على الرغم من وجوب استبعاد الاعتبارات القيمية — أو التحيزات — وهي التي تشوه البحث العلمي المرغوب ..

— على السؤال الذى يطرح بشأن امكانية وصول العلم السلوكى الى أحكام Judgement بشأن الخير والشر فان الاجابة على ذلك بأنه لا يستطيع .. وأن هذه الاحكام هى فى الواقع مهمة الاخلاق كنشاط أو كجانب مستقل .

رابعا — تقييم ومصير الحركة السلوكية :

يمكن أن نتناول ذلك في النقاط التالية :

١ — الارضية المشتركة بين الاتجاه السلوكى واتجاه المؤسسات :

لقد اكتشف كل من دعاة السلوكية Behavicralists ودعاة المؤسسات Institutionelists, وهم الذين يوصفون أحيانا بالتقليديين القانونيين) اكتشفوا أن هناك التزاما مشتركا بينهما وهو البحث الامبيريقي الواقعي للظواهر السياسية .. وأن المؤسسات ليست شيئا مستقلا عن السلوك كما أن السلوك ليس شيئا مستقلا عن المؤسسات وتركيباتها .. واهمال أي واحد منهما سيشوه الفهم العلمي للحقائق السياسية . (١٠)

ويمكن أن نشير الى التقاء الاتجاهين (السلوكي والمؤسسات) فى التحليل السياسي بالرجوع الى دراستين هامتين فى هذا المضمار ففي الدراسة الاولى وهي : الناخب الامريكي (١٩٦٠) The American Voter

اعتبر كامبل Angus Campbell وهو القائم بهذه الدراسة أن الناخب الفرد هو وحدة التحليل ولكنه ورفاقه استخدموا هذه البيانات المجمعة على مستوى الفرد لاقتراح نظرية عن الانتخابات على مستوى النظام System فى التحليل ومن جهة أخرى ففي الدراسة الثانية وهي : النظام التشريعي The Legislative system (١٩٦٢) بدأ جون واهلك John Wahlke ورفاقه بالتركيب المؤسسي التشريعي واستطلعوا مختلف الاتجاهات والادوار ومختلف المعايير والعلاقات الخاصة بالمشرعين كأفراد . ثم وصلوا الى نتيجة تصف المؤسسة كنظام System على درجة عالية من السلوك النموذجي أو النمطي . (١١)

واذا قارنا أي واحدة من هاتين الدراستين بالدراسات السابقة (سلوكية أو تقليـــــدية) للسلوك الانتخابي أو للمؤسسات التشريعية فان التركيز على النظرة العلمية سيكون ملحوظا على كل حال .

واذا كان السلوكيون يركزون على استخدام منهج المسح مثلا لتجميع الحقائق فانهم يعتبرون أن العمق التاريخي للمشكلة أو الظاهرة يزودهم بخلفية خصبة تجعل النتائج التي يصلون اليها أكثر ثقة .. ومعنى ذلك أنه ليس هناك من نزاع ضروري بين الطريقتين أو الاتجاهين السلوكي والتاريخي بل هما طريقتان متكاملتان .

٢ ــ العالم السلوكي واشتراكه في الازمات والقضايا اليومية الملحة :

يختلف العلماء السلوكيون بالنسبة لضرورة اشتراك العالم السلوكي في القضايا الملحة ، أو عدم اشتراكه فيها . ويصدر هذا الاختلاف العميق عن طبيعة نظرتهم للعلم فهم يرون انه ليس هناك في منطق العلم ما يجبر العالم على الالتزام بهدف معين من الاهداف العامة العديدة المتعارضة .. وليس هناك أيضا في هذا المنطق ما يحول دون التزام العالم بهدف معين .. فالالتزام أو عدمه يدخل ضمن المواقف الاخلاقية أو المعنوية ، وهذه المواقف تعكس المسئولية الشخصية للعالم عنه وبين ضميره .. والعلم والفلسفة لا يشرعان له منهاج العمل الذي ينبغي له أن يتبناه .

واذا كانت المناقشة السابقة تتصل بفلسفة التزام العالم بمشاكل المجتمع فان واقع الامر يشير الى أن معظم العلماء السياسيين في بلد معين (بما فيهم السلوكيين) يشتركون في مشاكل مجتمعهم السياسي وذلك عن طريق تكريس حياتهم للاسهام في تربية مواطنين أكثر وعيا ، وفي تنشئة الاجيال تنشئة اجتماعية سياسية أفضل ، وبالتالي فمن العسير ألا يكون لهؤلاء العلماء ارتباط بقيم ومقاليد المجتمع الذين يعيشون فيه . (١٢) وعلى الرغم من أننا نرى أن اشتراك العالم السياسي في مشاكل بلاده السياسية أو عدم اشتراكه فيها ، امر مرتبط بجو الحرية الذي يعيش فيه ، ويتعلق بشخصيته ومعاييره الاخلاقية التي يلتزم بها بينه وبين نفسه ، الا ان بعض الباحثين قد رأوا في ايديولوجية الاتجاه السلوكي تهديدا للروابط المقدسة للمجتمع ، فقد يعني سيطرة العلوم السلوكية تحطيم علم السياسة ذاته ، لان هذا الاتجاه قد يعني أن العلماء الاجتماعيين . وعلماء السياسة على وجه الخصوص ــ سوف لا يصبحون ممثلين للنظام العام الذي يمولهم ويمدهم بالتأييد المعنوي والمادي .

٢ ــ الاسهام المحسوس لثورة السلوكية في علم السياسة (١٣)

في مناهج البحث وأدواته :

يمكن ان يحتل المسح مكانا متميزا في أساليب البحث الفنية المتعلقة بالاتجاه السلوكي ولا يعود ذلك الى كونه منهجا أساسيا من مناهج البحث الاجتماعي فحسب ، بل لان هذا المنهج قد تطور وحقق نجاحات محسوسة في اتجاه تشييد نظرية شارحة قائمة بذاتها .

كما يعتبر تحليل محتوى الاتصال من بين الاساليب والادوات الفنية المتعلقة أيضا مع الاتجاه السلوكي الكمي وعلى الرغم من أن بدايات تحليل المحتوى تعود الى أكثر من أربعين عاما ، الا أن أساليبه قد تطورت الى درجة تسمح بقدر كبير من الثقة والصحة في نتائجها .

في النظرية

ان مهمة تقييم تاثير الثورة السلوكية على العلوم السياسية في مجال وضع النظرية التي تعتمد على قدر من التحقق الامبيريقي ، تعتبر مهمة عسيرة . ولا تعود الى تعدد النظريات في العلوم السلوكية فحسب ، ولكنه يعود كذلك الى قلة البحوث السياسية ذاتها في هذا المجال . وبالتالي فان التعليق على هذه النقطة يبدو أنه تعليق سطحي ويتعرض للتحدي .. لقد أسهمت البحوث السلوكية في بناء النظريات وارتبطت بالنماذج والنظم وبرامج الكومبيوتر . ويمكن أن نشير الى أن هذه البحوث السلوكية قد انتجت في مجال النظرية نوعين مختلفين من الافتراضات أحدهما ضيق يهتم بالسلوك الفردي وبالتصرفات في الجماعات الصغيرة أما الافتراض الثاني فيهدف الى شرح أكثر اتساعا وشمولا ، دون ارتباط بمؤسسات معينة .

ويبدو أن التطورات في العلوم السلوكية قد أحرزت تقدما كبيرا في مجال أساليب البحث أكثر من تقدمها في مجال « النظرية » الصحيحة ومن أمثلة هذا التطور الاخير دراسة السلوك الانتخابي باستخدام أساليب المسح ومن هنا كان الاهتمام بالسلوك السياسي « كمدرسة حديثة وتميزها عن المدرسة التقليدية التي تهتم بدراسة « المؤسسات » ووصفها وتطويرها والتي استمرت أيضا جنبا الى جنب مع المدرسة السلوكية » .

وعلى كل حال فمسيرة البحث العلمي باتجاهاته ومناهجه وأدواته ستستمر في التطور وستبهر الامبيريقيون الجدد ، رواد السلوكية في الامس القريب ، بانهم كانوا تقليديين ضيقي الافق بينما يتوقع هؤلاء الجدد نفس المصير .

٤ ــ مصير الحركة السلوكية والتطورات الجارية :

ما هو مصير الحركة السلوكية باعتبارها حركة رفض القديم ؟ يجيب روبرت داهل على ذلك بقوله انني اظن أن هذه الحركة سوف تختفي تدريجيا (١٤) ولكنه لا يعني بذلك أنها ستنقرض كنظرة مميزة في الدراسات السياسية .. ولكنه يعني أنها ستصبح جزءا لا يتجزأ من الجسد الرئيسي لعلم السياسة .. أي أنها سوف تختفي لا بسبب فشلها بل بسبب نجاحها . لقد كان من بين نتائج الحركة السلوكية هو استعادة بعض الوحدة داخل العلوم الاجتماعية واقتراب الدراسات السياسية من النظريات والمناهج العلمية ، وكذلك اقترابها من الدراسات النفسية والاجتماعية والاقتصادية الحديثة .

واذا كانت الحركة السلوكية في علم السياسة قد ساعدت على استعادة بعض الوحدة .. فقد ادت كذلك الى تقسيم وتفتيت الخطوط القديمة للتفكير والدراسة .. وفيما يلي أجزاء خمسة ــ على سبيل المثال ــ في حاجة الى الوحدة من جديد وهي : علم السياسة الامبيريقي ، مقننات التقييم ، التاريخ ، النظرية العامة ، والتأمل .

فعالم السياسة الامبيريقي يهتم بما هو كائن وليس بما ينبغي أن يكون ..وبالتالي فهو يجد من العسير عليه أن يتحمل العبء التاريخي للفيلسوف السياسي الذي يحاول تقرير وتشخيص واستخدام المقننات الاخلاقية والقيم ، في حكمه على التصرفات والنظم السياسية .

أما دارس السياسة السلوكي فهو يقوم بوصف القيم كبيانات امبيريقية . وهو يتجنب البحث عن أصول الاحكام القيمية ..

والى من يمكننا أن نتجه وان نثق بما يقول بالنسبة لتقييمنا وأحكامنا السياسية .. للمدرسة الاولى أو الثانية ؟ ويرى الكاتب أنه ليس هناك جماعة مهنية واحدة مؤهلة للتحدث بحكمة عن جميع البدائل السياسية الهامة .. وكل ما يمكننا أن نؤكد عليه أن الحركة السلوكية خطوة الى الامام في الدراسات السياسية وهي تفيد من الجهود التاريخية والفلسفية التي سبقتها . فالاهتمام ببناء النظرية لدى السلوكيين يضيف البعد العلمي للاتجاه التاريخي كما أن اهتمام السلوكيين بتقليد مناهج البحث في العلوم الطبيعية لا ينبغي أن يصرفهم عن استخدام التأمل الفلسفي ، ذلك لانهم بذلك انما يتيحون لانفسهم التعرف على مزيد من البدائل السياسية التي يمكن أن تغفلها الدراسة الامبيريقية .

ومن المؤكد أن التصور والخيال يعتبر علامة مميزة لذكاء العلماء الكبار .. ولعل هذا الخيال كان يسبق التطورات العلمية الهائلة في النظرية العلمية .. ومع ذلك فمن العدل أن نؤكد أيضا على أن الخيال والتصور في حياة كل من جاليلو وكبلر Kepler ونيوتن وانشتين كان مسبوقا ومحكوما بفهم عميق للحقائق الامبيريقية الصلبة التي انتجها العلم حتى عصرهم .

التطـــورات الجـــارية :

أن الجهود الحثيثة لتاسيس علم موضوعي للسياسة ــ بعيد عن النقد بالقيمة ــ قد احرزت نجاحا ومكانا دائما في الدراسة العلمية للسياسة وقد تركزت هذه الجهود في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية .. ولكن هذه الجهود نفسها قد ادت الى ردود فعل نقدية لهذا الاتجاه .

ذلك لان معارضي « العلمية » Scientism في اواخر الستينات قد رفضوا ما احسوا به من زيادة خضوع الاختيارية والقيم الانسانية للحتميات في كل وجه من وجوه الحياة . وذهبوا الى أن علم السياسة كان أحد أمثلة شمولية التكنولوجيا ومحاولة الوصول للمقلانية في تركيب اجتماعي معقد . وهذا التركيب ذاته قد يوصف باللاعقلانية أو عدم امكانية التحكم فيه .

وعلى الرغم مع أن علم السياسة قد طور اساليب دقيقة للبحث ، فما زالت هناك جوانب ومشاكل عديدة في حاجة الى مزيد من الدراسة ومن بين هذه الجوانب ، الافتقار للاطار النظري الذي يمدنا بفهم المعلومات والبيانات فهما مرتبطا بالحياة السياسية . وهناك مشكلة مكان وكيفية البحث والتعـــرف على مواقع القوة وتاثيراتها Locus of Power وهناك مشكلة منطقية المنهج العلمي اوالطريقة العلمية ومعايير اختيار المنهج الملائم ومشكلة المصطلحات الغامضة ، ومشكلة تبني اساليب فنية جديدة مع الوعي العميق بضرورة

معاسة الظواهر السياسية التي يقوم بشرحها .. وهناك مشكلة الارتفاع عن الافتراضات القيمية Value Premises للنظام السياسي الذي يرتضيه الباحثون السياسيون كمواطنين ، وهناك مع هذا كله مشكلة تحديد الوحدات التي يعتبر اساسية للبحث (الافراد ، الجماعات الصغيرة ، المجتمعات ، الصفوة ، الحركات الجماهيرية أو الامم بكاملها) .

خامسا ــ بعض أمثلة من الدراسات والبحوث التي تبنت الاتجاه السلوكي

هناك في الانتاج الفكري السياسي الحديث ، العديد من البحوث والدراسات الرامية الى انشاء علم للسياسة غير مرتبط « بالقيمة » (Value-Free) ومن أمثلة هذه الدراسات ما يلي :

Rice, Stuart A. Quantitative methods in Polics. (1928 reprinted 1969).

وهو كتاب يعتبر الاول من نوعه في استخدام المناهج الاحصائية لدراسة السياسة

Catlin, George, E. G. The Science and the method of Politics. (1927)

وقد ذهب كاتلين الى أنه من الممكن وضع بعض القوانين في السياسة .

UNESCO. Contemporary Political Science in 1950. Truman, David. The Government Process: Political Interests and Public Opinion. (1951)

ولعل أحد الاعمال التي تعكس طرق التفكير النموذجية للمدرسة السلوكية مؤلف روبرت داهل بعنوان « مقدمة للنظرية الديمقراطية »

Dahl, Robert. **A Preface to Democratic Theory**. Chicago, University of Chicago Press, 1956.

حيث تضمن هذا المؤلف نظريات عديدة عن الديمقراطية في شكل يتلاءم مع المنطق العلمي والتحقيق الامبيريقي .

ولعل ايلو Eulau (وهو من رواد السلوكية) قد بدأ كذلك بأفكار مماثلة عن الصياغة الامبيريقية لبعض النظريات السياسية الكلاسيكية . ويشعر ايلو على كل حال أن المدرسة السلوكية هي استمرار للمدرسة الكلاسيكية ، وليست مجرد رد فعل نقدي لها .

فالبحوث السياسية كما يراها ايلو ــ تهتم بدراسة الاشكال والصور المميزة للسلوك على المستوى الماكروكوزمى للثقافة الكلية ، وذلك قبل محاولة اكتشاف الميكروكوزم للسلوك الفردى .

وعلى سبيل المثال ، فالسلوك التسلطي ، يمكن أن نجده في سلوك الاطفال وفي مواقف العمل المختلفة ، وفى المسجد والكنيسة ، كما نجد هذا السلوك التسلطي فى السياسة الماكروكوزمية Macropolitics ايضا .

وعلى كل حال فالاتجاه الغالب لدى السلوكين ، هو الافادة من الانجازات الناجحة السابقة ، التي قام بها الفلاسفة السياسيون بل أن جرعة صحية من فلسفة العلم تعتبر ضرورية للاتجاه السلوكي ومن الدراسات الهامة التي تعكس هذا الاتجاه ما يلي :

Kaplan, Abraham. **The Conduct of Inquiry**: Methodology for Behavioral Science. San Francisco, Chandler Publishing Co., 1964.

Deutsch, Karl W. **The Nerves of Government**: Methods of Political Communication and Control. New York, The Free Press, 1963 (Ch. 3).

١ ــ في السلوك الانتخابي

ودور ممثلي الشعب :

يمكن أن نتعرف على السلوك الانتخابي وأهمية منهج المسح فى الدراسة التالية :

Lazarsfeld, Paul F., Bernard Berelson & Hazel Gaudet. **The People's Choice.** How the Voter makes up his mind in Presidential Campaign. (194)

وقد نشرت هذه الدراسة عام ١٩٤٤ وتناولت انتخابات الرئاسة لعام ١٩٤٠ في أمريكا ، وتلتها الدراسة القيمة عن انتخابات ١٩٥٦ ، والتي ظهرت تحت عنوان الناخب الامريكي The American Voter ونشرت هذه The American Voter ونشرت هذه الدراسة عام ١٩٦٠ وقام بها انجوس كامبل Campbell Angus ورفاقه .. وهناك دراسة موسعة لنفس الباحثين ولنفس الموضوع ويمكن الالاع عليها في المرجع التالي :

Stability and Change in 1960. A Reinstating Election. **American Political Science Review**. 55, 1961, 269-80.

وليس من المبالغة في شيء أن نؤكد بأن هذه السلسلة من الدراسات قد عبرت وعمقت مفهما لسلوك المواطنين في الديمقراطية ، وتقرير كيفية اختيارهم للمرشحين ، بل تقرير رغبتهم في الانتخاب أو الامتناع عن التصويت .. وذلك بالنسبة للانتخابات التنافسية .

ودراسة ايلو Eulau التالية عن الممثلين في المجالس التشريعية للولايات الامريكية تعتبر دراسة معبرة عن هذا الاتجاه السلوكي :

Eulau, Heinz et al. **The Role of the Representative:** Some Empirical observations on the theory of EdmundBurke. **Am. Pol. Sci. Review**, 53, (Sept 1959 742-56.

وقد قام ايلو بوضع نماذج عديدة للمجتمع ، ومن أمثلة هذه النماذج المصفوفة الاجتماعية للعلاقات بين الاشخاص حيث تعتبر الوحدة الامبريقية الاساسية هي دور الفرد .. Social Matrix.

وبحوث الراي العام يمكن أن نتعرف فيها على صور مختلفة للادوار الذاتية للمواطنين ، أو المشرعين أو أعضاء الحزب أو الناخبين .... الخ .

وفي مشروع البحث الذي قام به ايلو عن الممثلين في المجالس التشريعية فقد واجه الممثلين بنماذج الادوار المعروفة جيدا ، لكل من ادموند بيرت وروسو .. ثم سالهم عن كيفية رؤيتهم لادوارهم كممثلين .. ومن الادوار الفردية تقدم ايلو في بحثه للتعرف على الجماعات الرأسية Vertical groups ونماذج ولاءات الافراد لهذه الجماعات بالاضافة الى تاثير هذه الجماعات على اعضائها .

لقد قام ايلو بالدراسة على البعد الرأسي ، ثم اتبعها بالدراسة على البعد الافقي (وهي التي تكون طبقات Layers المجتمع) والتي تخضع بدورها للبحث الامبريقي والدراستين التاليتين تتناولان نفس الموضوع .

Eulau, Heinz. **Class & Party in the Eisenhower Years**. New York, The Free Press, 1962.

Marvick. Dwaine (ed). **Political Decision Makers: Recruitment and Performance**. New York, The Free Press, 1961.

٢ ــ المشاركة السياسية :

وهناك مجال آخر اعتمد على النظرة العلمية وأدت الدراسة فيه الى نتائج موثوق فيها وذات اهمية كبيرة في فهم السياسة .. وهذا المجال العام هو المشاركة السياسية Political participation ويمكن أن نشير الى بعض الاسئلة التي طرحها / روبرت لين / في دراسته عن الحياة السياسية Robert lane on Political Life.1959

وكانت اجابته عليها تتميز ببعض الثقة التي نطمئن اليها ، عندما نقارن معلوماتنا عن نفس هذه الاسئلة منذ سنوات قليلة مضت ، ومن أمثلة هذه الاسئلة ما يلي :

ــ من الذين يشتركون في الانتخابات وماذا يفعلون ؟

ــ من الذين يحاولون التاثير على المسئولين في الحكومة ، وكيف يفعلون ذلك .

ــ من الذي يشترك في المناقشات السياسية ومن يتحدث الى من .. ؟

ــ لماذا يكون اشتراك الطبقات الدنيا في العملية الانتخابية أقل من اشتراك الطبقات العليا . ؟

٣ ــ الدراسات التي تهتم بالجوانب النفسية :

وهذه الدراسات تركز على التعرف على الاتجاهات والمعتقدات وفهمها وعلى فهم خصائص الشخصية ومساحة الدراسات في هذا المجال مساحة واسعة . وقد قام بهذه الدراسات علماء في السياسة وفي الاجتماع وفي علم النفس وغيرهم أي أن هذه الدراسات لا تندرج تحت علم السياسة وحده .

وفيما يلي أمثلة لهذه الدراسات :

Adorno et al. **Authoritarian Personality.**
Almond. **The Appeals of Communism.**
Stouffer **Communism, Conformity and Civil Liberties.**
Lipset. **Political Man.** (Ch. on Working Class Authoritarianism).

وقد يذهب البعض الى أن اشتراك علماء من تخصصات متعددة في هذه الدراسات من شأنه أن يهدم الصفات المميزة لعلم السياسة ، ولكن اخرين يرون ذلك علامة على اهتمام العلماء السلوكيين بتخطي الاختلافات ذات الاصول المهنية .

٤ ــ النظم السياسية :

أما بالنسبة لتأثير النظرة العلمية على دراسة النظم السياسية Political systems فما زال ذلك في مراحله الاولى . ومن أمثلة هذه الدراسات التي تعكس الاتجاه السلوكي ما قام به كارل دوتش في دراسته عن النظم السياسية الدولية :

Deutsch, Karl. **Nationalism and Social Communication.**

كما أن هناك دراسات هامة في هذا الاتجاه وتطبق المناهج المسحية في السياسة المقارنة ، وذلك مثل الدراسة التي قام بها جبرائيل الموند عن التنشئة الاجتماعية السياسية والقيم السياسية في خمس دول هي

Almond, Gabriel and Verba. **The Civic Culture.** Princeton, Princeton University Press, 1963.

كما يمكن أن نشير الى نظرية النظام في مؤلفات دافيد ايستن

A Frame work for Political Analysis. Englewood, Cliffs, N. J. Prentice-Hall 1965.

والى جانب أعمـــــال ايستن ودوتش هنـــاك الدراســات التي قام بها الموند عن الدول النامية

Almond, Gabriel & James Coleman (eds). The Politics of the Developing Areas, (1960).

وهما تحليل تركيبي وظيفي .

وهناك علاوة على هذا كله ، دراسات اتخاذ القرارات والقوى الداخلة في صنع القرار المحلي مثل الدراسة التالية :

Dahl, Robert **Who Governs?** Democracy and Power in an American City. (1961)

وأخيرا يمكننا أن نتعرف على الدراسات التي تنقد السلوكية فيما يلي :

Crick, I. The American Science of Politics. (1959).
Storing. Herbert (ed.). Essays on the Scientific Study of Politics. (1962)

REFERENCES

1. Susser, Bernard. "The Behavioral Ideology": A Review and a Retrospect, **Political Studies,** Vol. 22, No. 3, Sept., 1974 pp. 271-288
2. Ea., L. "Political Science", **Encyclopedia Britanica,** Chicago, University of Chicago Press, 1974.
3. Charlesworth, James, C., **Contemporary Political Analysis,** New York, The Free Press, 1967, pp. 2-3.
4. Dahl, Robert A. The Behavioral Approach in Political Science. Epitaph for a monument to a successful protest. **In** Behavioralism in Political Science, by Heinz Eulan (ed.) New York, Atherton Press, 1969, p. 76-82.
5. Kerkl, Peter H. "Behavioristic Tendencies in American Political Science", **In** Behavioralism in Political Science by Heinz Eulan (ed.), **op. cit,** pp. 142-3.
6. Heinz, Eulan "Segments of Political Science Most Susceptible to Behavioristic Treatment", **In** Charlesworth (ed.), The Limits of Behavioralism in Political Science . . . .

   See Also:
   Lasswell, Harold, D. & Abraham Kaplan. **Power and Society.** A Framework for political inquiry., New Haven, Yale University Press, 1950.
7. Kirkpatrick, Evron, M. "The Impact of the Behavioral Approach on Traditional Political Science," **In** Austin Ranney Ed., **Essays On the Behavioral Study of Politics.,** Urbane, University of Illinois Press, 1962, p. 12.
8. Eastern, David, "The Current Meaning of Behavioralism", **In Contemporary Political Analysis, op. cit.,** p. 16-17.
9. Almond, Gabriel, A. "Politics, Science and Ethics", **American Political Science Review,** 40 (1946), 283-93.
10. Eulao, Heinz (ed.) **Behavioralism in Political Science,** pp. 5, 11-12.
11. Wahlke, John, C., Heinz Eulao, William Buchanan & Le Roy, C. Ferguson. **The Legislative System.,** Explorations in Legislative Bebavior., New York., John Wiley, 1962.
12. Kirk, Russell, "Segments of Political Science not Amenable to Behavioristic Treatment," **In** Charlesworth (ed.)., **op. cit.,** pp. 49-67
13. Truman, David, B. "The Impact on Political Science of the Revolution in the Behavioral Science", **In** Behavioralism in Political Science by Heinz Eulau (ed.)., pp. 38-67.
14. Dahl, Robert, **op. cit.,** p. 85.

SUPPLEMENTARY READINGS

Charlesworth, James C. **A Design for Political Science:** Scope, Objectives, & Method. Philadelphia: American Academy of Political & Social Science, 1962.

Crick, Bernard S. **The Study of Politics.** Urbana: University of Illinois Press, 1959.

Frohock, Fred. **The Nature of Political Inquiry.** Homewood, Illinois: Dorsey Press, 1967.

Gibson, Quentin. **The Logis of Social Inquiry.** New York: Humanities Press, Inc., 1960.

Kaplan, Abraham. **The Conduct of Inquiry.** San Francisco; Chandler Publishing Company, 1964.

Kemeny, John G. "A Philosopher Looks at Political Science," **Journal of Conflict Resolution,** 4 (1960), pp. 292-302.

Lasswell, Harold. **The Future of Political Science.** New York: Atherton Press, Ind., 1964.

Meehan, Eugene J. **The Theory and Method of Political Analysis.** Homewood Illinois: Dorsey Press, 1965.

Pool, Ithiel De Sola. **Contemporary Political Science: Toward Empirical Theory.** New York: McGraw-Hill Book Company, 1967.

Rapoport, Anatol. **Operational Philosophy: Integrating Knowledge and Action.** New York: Harper & Row, Publishers, 1953.

Somit, Albert and Tanenhaus, Joseph. **The Development of American Political Science: From Burgess to Behavioralism.** Boston: Allyn and Bacon Inc., 1967.

Toulmin, Stephen. **The Philosophy of Silence.** New York: Harper & Row, Publishers, 1960.

Van Dyke, Vernon. **Political Science: A Philosophical Analysis.** Stanford: Stanford University Press, 1960.

Wasby, Stephen L. **Political Science: The Discipline and Its Dimensions** New York: Charles Scribner's Sons, 1970.

Ziegenhagen. Eduard A. **Techniques for Political Analysis.** A Laboratory Manual. Hallbrook, 1971.